ترجمة حياة الباحث

(الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي)

هو عثمان بن عبد السلام بن محمد المشهور بالثقافي . ولد في أروغي وهي من ضواحى إلورن ، ولاية كوارا ، نيجيريا سنة 1960 م. وهو بورباوي من جهة الأب وفلاني من جهة الأم . أخذ قراءة القرآن عن شيخه عبد الله وهو في السنة الثامنة من عمره.

وفى سنة ١٩٧٢م التحق بالمدرسة الأدبية إلورن، ثم بمعهد إلورن الدينى الأزهرى لجماعة أنصار الإسلام بنيجريا، وحصل على الشهادة الإعدادية سنة ١٩٧٦م. ثم تمادى فى شأنه حتى عقد الإمتحانات مع زملاء للحصول على شهادة التربية العامة على المستوى العادى والعالى وسجّل لها بصفة طالب ذكى فريد فى النضج حتى نجح بالتفوق. وقدم طلباً للقبول فى جامعة صكتو، نيجريا فا لتحق بها سنة ١٩٨٤م. وتخرج منها ونال شهادة الليسانس فى اللغة العربية وآدابها بدرجة الإمتياز سنة ١٩٨٧م. وفى سنة ١٩٨٩م قيد بجامعة إلورن لمواصلة دراساته العالية وحصل فيها على الماجستير سنة ١٩٩١م وعلى الدكتوراه سنة 1998م

هذا وقد زاول الباحث مهنة التدريس منذ تخرجه فى الجامعة فى كلية القانون والدراسات الإسلامية ميسو ، ولاية بأوتشى حيث خدم الوطن سنة 1988م. ثم واصل مهنته فى كلية مدرسى اللغة العربية تحت وزارة التربية لولاية كوارا بعد حصوله على شهادة الليسانس منذ سنة ١٩٨٩م إلى سنة 1998م وعين محاضرا بقسم اللغة العربية, جامعة إلورن سنة 1999م وهو بها إلى هذه اللحظة.

تأثيرات الاستعمار الأوربى على الدول الإسلامية واللغة العربية في غرب إفريقيا وتخطيط الإستراتيجيات لمكافحتها

بقلم/

الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي و أحمد دام جوب

Thaqafi60@gmail.com

Ahmad.dd@unilorin.edu.ng

قسم اللغة العربية جامعة إلورن نيجيريا.

الملخص:

هذه المقالة محاولة لدراسة البصمات السيئة التى وضعها الا ستعمار الغربى على المماللك الاسلامية واللغة العربية فى غرب إفريقيا فى القرن العشرين كقتل سلاطين المسلمين وتخريب قصورهم وطرد بعضهم إلى المنفى البعيد عن بلادهم وتهديم المعاهد العلمية وإبعاد علماء المسلمين عن مكاتب إدارتهم وتحقير الحضارة الاسلامية والثقافة العربية وعدم الإعتراف بها وإحلال حضارتهم وثقافتة ولغاتهم محلها وتقديم الحروف الهجائية اللاتينة على الحروف العربية والدفاع عن اللغات الأوربية على حساب اللغة العربية وسرقة المخطوطات العربية من مختلف المكتبات الإسلامية والعربية. الخاصة منها والعامة - إلى مكتباتهم ومتاحفهم بأوربا وتوظيف موارد غرب إفريقيا البشرية والمادية لصالح الدول الاستعمارية وتقديم المسيحية والمسيحيين على الإسلام والمسلمين وتكريم علماء التبشيرية بالإمتيازات والمناصب على حساب علماء الاسلام والثقافة العربية وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى. ونقدم هذه الدراسة إظهارًا لما أصاب المسلمين وثقافتهم العربية في غرب إفريقيا من تقدم أو تأخر

وتخطيطا إستراتيجيّا لتحريك الجهات المعنية بالحضارة الإسلامية والثقافة العربية لانقاذ المسلمين وحضارتهم الإسلامية العربية من أيدي المستعمرين وعملائهم العلمانيين السود والبيض ولتحسين هذه اللغة وصياينتها وإعداد هيئة تدريسها وتطوير وسائل تعليمها لتقوم من جديد بوظائفها بطريقة أفضل من ذي قبل.

(أ) المقدمة:

ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي دول إمامية في بلاد الفوتاتورو والفوتاجالون. وقد بني مؤسسو هذه الدول على أنقاض الممالك القديمة الهرمة على الأساس الديموقراطى. ثم ظهرت ممالك إسلامية فتية أخرى في صدر القرن التاسع عشر من الميلاد لإحياء السنة وإخماد البدعة وتجديد المعالم الإسلامية والثقافة العربية بشمال نيجيريا وفي منطقة ماسينا في بلاد مالى ودولة الشيخ الحاج عمر الفوتى المعروفة بالمملكة التكرورية التي اكتسحت بلاد مالى شرقًا إلى بلاد السنغال وما حولها غربا. وكان سلاطين هذه الدول جميعا يلعبون دورا فعالا في نشر الإسلام والثقافة العربية في أنحاء بلاد السودان شرقًا وغربًا بل وضعوا أسسا متينة في تطبيق الشريعة الإسلامية وتطوير العلوم الإسلامية والعربية حتى حببوا هذا الدين وثقافة العربية إلى سكان هذه المناطق صغارًا وكبارًا ورجالاً ونساء. وكانت اللغة العربية ساعتئذ هي لغة الاتصال والتفاهم الرسمي بين الممالك داخليا وخارجيا ولغة التبادل الثقافي في المعاهد والجامعات وبين الأدباء والمتأدبين. وبالتالي ذاع صيت هؤلاء السلاطين ووزرائهم وعلمائهم في الآفاق وسار بذكرهم الركبان في الأمصار.

ومن دواعي الأسف أن هذه الممالك وثقافتها العربية أخذت تتسم بالاضطهاد والتحقير بمجئ الاستعمار الأوربى وتطاوله على هذه البلاد. لقد تصدى الاستعمار للحضارة الإسلامية واللغة العربية برمتها للوهلة الأولى ووظف إمكانياتها المادية والعسكرية والروحية للقضاء على هذه المعالم بقتل حماتها وعمل وخطط على تنفيذ إستراتيجياته بإنشاء مدارسه العلمانية التبشيرية وجعل لغته الأوربية محل اللغة العربية وإبعاد المسلمين وعلمائهم عن المناصب السياسية إلا من والاهم منهم وتبعهم إلى كل ما يذهبون إليه، بل دافعوا عن لغاتهم الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية وغيرها وقدّ روها إلى حد التقديس واحتقروا اللغة العربية ورجالها ولم يعترفوا بها على الإطلاق بل تركوها كالمعلقة. وقد أدت هذه التطورات بالضرورة إلى الصراع الثقافي واللغوي بين العلماء المسلمين والمثقفين بالثقافة الغربية في المجتمع السودانى. فهذه المقالة تلقى بعض

الأضواء على هذه الممالك وتعرض على القارئ أحوالها في عصر الاستعمار الأوربى في غرب إفريقيا في القرن العشرين من الميلاد ثم تقدّم بعض الافتراحات التي يظنها الباحث حلولا شافية إذا عمل بها أولياء الإسلام وحماة اللغة العربية بقدرة الله تعالى.

(ب) الممالك الإسلامية الفتية في القرن التاسع عشر في غرب إفريقيا قبل الاستعمار الغربي:

نشأت عدة ممالك إسلاسية فتية على أيدى رجال الإسلام المجاهدين فى غرب إفريقيا قبل الاستعمار الأوربي وأشهرها:

1-مملكة صكتو تحت الشيخ عثمان بن فودى وأسرته (١٨٠٤-١٩٠٣م)

وقد امتدت هذه المملكة إلى بلاد آهير شمالا، وإلى بلاد إغال وبنين ويوربا جنوبا وإلى قلب بلاد برنو شرقا وإلى حدود بلاد غرم فى صعيد نهر النيجر غربا. ومن أهم إماراتها تحت صكتو وغواند: إمارات كنو وكاشنه وزاريا وبوش وحديجيا وكتغن وأدموا وغمبى، ومنها كذلك إمارات كب وزمفر وياور ونوفى وإلورن التى هى جزء من بلاد يوربا. وعلى كل واحدة من هذه الإمارات أمير يقبل اللواء من قبل سلطان صكتو أو من جهة أمير غواند. وهؤلاء الأمراء هم أهل الحل والعقد قبل الاستعمار الأوربي.[1]

منهج الشيخ عثمان:

كان الشيخ عثمان بن فودي في بداية دعوته يحدث الناس في خمسة أمور رئيسية:

أولها: ما فرضته الشريعة من الأصول والفروع الظاهرة والباطنة.

والثاني: ما يتعلق باتباع السنة وترك ما دونها من البدع والمنكرات.

والثالث: في ردّ الأوهام والآراء الخاطئة في أذهان الطلبة مما تلقّوه من علم الكلام وتكفيرهم عامة الناس بلا مبرّر شرعي، وخاصة أنه شاع في ذلك الزمان أن بعض العلماء كانوا يحرّمون أكل ذبائح العامة أو التزاوج معهم لجهلهم بحقيقة التوحيد ولقد

عالج الشيخ هذه الأفكار الخاطئة وأكّد إيمان العامة، وبيّن أن خوض الطلاب في هذه المتاهات الكلامية يصرفهم عن الواجب الشرعي وعن الدعوة إلى الكتاب والسنة.

الرابع: ما يدور حول إخماد البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في دين الإسلام ورد القواعد المخالفة للشرع.

ويختص الأمر الخامس: بتعليم العلوم الشرعية وتبسيط مشكلاتها وتقريبها من فهم العوام.

2–مملكة برنو تحت الشيخ أمين الكانمى وأسرته (١٨٠٩– ١٨٩٣م)

يحدُّ هذه المملكة شمالا صحراء فزان وجنوبا إمارتا غمبى وآدَمَوَا وشرقا بلاد وداى وغربا إمارتا كتغن وحديجيا. وعاصمتها كُوكاوَا ومن أبرز مدنها برنو وغسرغمو وكانم وزندر ومندرا وكتكو وبدة وكرى.[2]

3–مملكة ماسينا تحت الشيخ أحمد لَبّو وأسرته (١٨١٨– ١٨٦٢م)

تأسست مملكة ماسينا على يد الشيخ أحمد. وعاصمتها "حمد الله". ومن أهم مدنها جنى وماسينا وتمبكتو وسيغو وغيرها.[3]

4–المملكة التكرورية تحت الحاج عمر الفوتى وأسرته (١٨٥٢– ١٨٩٣م)

وقعت هذه المملكة بمنعطف نهر النيجر وحول بلاد فوتاجالون، ومن أكبر مدنها دنغورى وأماكو، وسيغو وجنى، وحمد الله وتمبكتو، وكيت ونيورو. وأهداف هذه المملكة تلخصت في الأمور التالية:

1– إبعاد خطر الاستعمار عن غرب إفريقيا حيث كان الأوربيون يتاجرون مع أهل تلك المناطق ويحاولون مدّ نفوذهم السياسي والاقتصادي وربما التبشيري عليها.

2– العمل على نشر الإسلام في المناطق غير المسلمة وتصحيح ما انحرف من عقائد المسلمين وتطهيرها من الشوائب والخزعبلات والممارسات الغربية على الدين الحنيف.

3– العمل على إيجاد قوة مادية رادعة ومنظمة تقوم بمهمة حماية المكتسبات الإسلامية ورعاية شؤون المسلمين.[4]

5–مملكة مندنكا الإسلامية تحت الشيخ ساموري توري (١٨٧٠–١٨٩٨م)

وقعت هذه المملكة بجنوب المملكة التكرورية المذكورة آنفا بفوتاجالون ومؤسسها الشيخ ساموری توری الذی کان یحکمها بالشریعة الإسلامیة.[5]

6–دولة الأئمة تحت الإمامين إبراهيم موسى ألفا با وإبراهيم سوري باري فى بلاد فوتاجالون (١٧٢٥– ١٩٠٠م).[6]

هذه الدولة يحكمها ذانك الإمامان وأحفادهما فى بلاد فوتاجالون بالقوانين الإسلامية. ثم قامت دولة إمامية أخرى على يد الشيخ سليمان بال سنة1776م في منطقة الفوتاتورو واستمرت هذه الإمارة إلى سنة 1881م تحت إمامها أميرالمؤمنين عبد القادر كان.

هذه هى الممالك الإسلامية الفتيّة التى أسسها أهل الغيرة الإسلامية على أنقاض الممالك القديمة فى غرب إفريقيا لإحياء الإسلام وتنشيط ثقافته فى هذه الأقاليم قبل الاستعمار الأوربي الغاشم.

سقوط ممالك غرب إفريقيا تحت أقدام الاستعمار الأوربي سنة ١٩٠٠م

ظهر الإفرنج للمرة الأولى فى غرب إفريقيا فى القرن الخامس عشر من الميلاد فى صورة الرواد الزائرين ثم عقدوا المعاهدات مع ملوك البلاد الساحلية للتجارة معهم فأخذوا يتبادلون السلع والبضائع ويعطون ويأخذون ثم اتجهوا إلى تجارة الأرقَّاء (النخاسة) فأخذوا يجلبون العبيد والإماء من غرب إفريقيا إلى أوربا وأمريكا ويعطون أهل غرب إفريقيا البندقية والمطاط والبارودة والسّكّين وغيرها من إنتاجاتهم العجيبة حتى افتتن أهل هذه البلاد بغرورهم فأخذوا يخربون بلادهم على أنفسهم بأيديهم بشن بعضهم الغارات على بعض لاسترقاق إخوانهم وأخواتهم لبيعهم فى أسواق النخاسة تحصيلا للأجهزة الأوربية الغريبة.

ثم لم يكتف الأوربيون بذلك، بل تطلعوا إلى الاستيلاء على هذه البلاد واستعباد سكّانها فتدخلوا فى شئونها السياسية بالمعاهدات السلمية مع رؤساءها، ولما تفطّن لكيدهم هؤلاء الرؤساء نبذوا إليهم عهودهم وأبدوا لهم العداوة والبغضاء فتجابه الفريقان فتغلب الأوربيون على سكان هذه البلاد وأربابها بقوتهم العسكرية الحديثة فأسقطوا ممالكهم وأقاموا مقامها حكومتهم الغاشمة وحددوا الأقاليم تحديدا سياسيا

كما أمرهم هواهم وأطلقوا على كل إقليم اسما جديدا كما أرادوا ووحّدوا بين المتفارقين وفرّقوا بين المتوحّدين وأباحوا جميع الأديان للناس وأفشوا المسيحية واليهودية والوثنية فى البلاد حتى تغيرت الأحوال واضطربت الظروف فى هذه البلدان. وكذلك أخذوا يفسدون الحياة الاجتماعية فى هذه البلاد بثقافتهم اللادينية فأنشأوا دكاكين الخمر والفنادق للعهر والزنا وبنوا المدارس التبشيرية وألغوا الشريعة فى إدارة البلدان وأقاموا مقامها القانون الوضعى وعزلوا الملوك والأمراء الذين لم يحذوا حذوهم ولم يلفوا لفهم فى أوامرهم ونواهيهم وولوا من وافقوهم فى دستورهم وسياستهم.[7]

(ج) تأثير الاستعمار الأروبي على الدول الإسلامية والثقافة العربية في غرب إفريقيا:

إن إفريقيا الغربية كانت مسلمة في أول عهدها، وكانت معظم مناطقها تحكم بشرع الله تعالى، ولقد سبقت لها إمبراطوريات مزدهرة ودويلات تقام فيها شريعة الله تعالى، ولما دخل الاستعمار إلى هذه البقاع المباركة قام بتغيير كل هذه المناطق القيّمة والإمبراطوريات المزدهرة لمصالحهم الشخصية وحقدهم على هذا الدين الحنيف، لأن نواياهم الباطنة والظاهرة كانت قائمة على جعل شعب هذه القارة المسلم الذي كان يعيش بسلام واطمئنان يعيش على تخلّف وبُعد عن الدين الإسلامي الحنيف وعلى اقتصاد مخرب ثم تسخيره لصالح المستعمرين الذين أوهموا الإفريقيين أن ذلك الاستعمار يعني إعمار إفريقيا وتأمين كل ما يحتاج إليه هذا الشعب، ولكن فى الظاهر نجد خلاف تلك النوايا، فالمستعمرون جلبوا المصائب والويلات على هذه القارة وقاموا بتغيير كل ما يدل على حضارة هذا الشعب كما علّقوا اقتصاد إفريقيا باقتصادهم يرفعونه متى شاءوا ويخفضونه متى شاءوا.[8]

1- محاربة اللغة العربية وتعدّد اللغات المستعملة:

جميع الدول الاستعمارية في إفريقيا حاربت اللغة العربية وحدّت من انتشارها فأدى عدم استخدام اللغة العربية في البلدان الإفريقية الإسلامية إلى انتشار لغة المستعمر، سواء كانت الفرنسية أم الإنكليزية أم البرتغالية أم الإسبانية، وهذه من العوامل التي كانت عائقًا في انتشار الإسلام. ومن أمثلة ذلك أوغندا، فقد وصلت

اللغات التي تذيع بها إذاعتها عام 1389هـ-1969م إلى ثماني عشر لغة، تقلصت بعد ذلك إلى اثنتي عشرة لغة وتضم مجموعات اللغات الأفريقية عددا من الألسن واللهجات يصل قرابة الثمانمائة وهذا يشكل عبئا أمام الدعوة الإسلامية فيضطر الداعية المسلم أن ينقل الدعوة باللغات الأوربية التي فرضها المستعمر على هذه الشعوب وهي لغة وسطية بين الطرفين لكنها موصل غير جيّد وغير معبر ومن هنا كانت ضرورة تشجيع أبناء إفريقيا المسلمين على الدراسة في البلدان العربية والإسلامية ليتمكنوا من فهم الدين الحنيف جيدًا ومن ثم القيام بالدعوة بين قومهم.

في بداية القرن العشرين كانت الحكومات الأوربية تدّعي السيادة على كل الوحدات السياسية البالغ عددها أربعين وحدة. إن تقسيم إفريقيا وخاصة القسم الغربي منها كان نتيجة للصراع بين القوى الاستعمارية نفسها، وكانت عملية التجزئة ليس في صالح الشعوب الأفريقية وكانت النتيجة تعدّد الثقافات وتعدد الأحزاب وتعدد السياسات الاقتصادية، وكلها عقبات وضعت في طريق الوحدة الأفريقية واستعادة أفريقية لقوّتها وحيويّتها.

جاء الاستعمار الأوربي وبدأ التقسيم وقضى على الحكومات الإسلامية والوطنية التي كانت من الشعب الأفريقي وتعمل من أجله، لها قواعدها وقوانينها الخاصة التي تحكم بها والتي كان يقوم معظمها على شريعة الإسلام، وكانت العلاقة بين الحكومة والشعب علاقة متينة واضحة لا غموض فيها.

كان الأوربيون مستبدّين بالحكم في صدر حكومتهم ثم لما أرادوا إشراك الأفريقيين في الحكم جاءوا بزعماء موالين لهم لذلك لم يتعاون معهم الشعب، إذ إن كثيرا من الأمور التي تحلو للزعماء لا تقبلها الشعوب.

كان في غرب إفريقيا قبل أن يدخلها المستعمرون متعلّمون وفقهاء، وكانت المدارس التقليدية مفتوحة للجميع لأن الشعب الأفريقي متحمّس لفتح مدارس ولو من أموال قليلة كما كانت طبيعة هذا الشعب توّاقة للتعلم والثقافة، لكن المحتل عند قدومه لغرب إفريقيا لم يشجع هذه الطريقة، فأغلق المدارس التي بناها الأفريقيون وساهم في إدارتها، كما استهدف التعليم الاستعماري ربط الأجيال الناشئة بمفاهيم

خاطئة وقيم فاسدة تشيد بقوة المستعمرين وتهدف إلى تعميق الولاء للغرب وأساليبه والتقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية وذلك بالتركيز على فصل الدين عن الحياة بإنشاء المدارس العلمانية، وعرض التاريخ الأوربي بما فيه الصراع بين الكنيسة والدولة والحروب الدينية الصليبية وبهذا ينشأ جيل علماني يرتبط بالثقافة الغربية.[9]

ُ في هذ الصدد قال الشيخ آدم عبد الله الإلورى:\

إن الاستعمار كان يعمل جنبا إلى جنب مع التبشير، كلاهما يمهد السبيل للآخر، ويضع كل إمكانياته تحت تصرف زميله، بل يخدم التبشير الاستعمار أحيانًا أكثر مما يخدم صليبه، كما يختار الاستعمار كبار موظفيه من كبار الأساقفة والمطارنة، فلا يستطيع المسلم ان يفرق بين الموظفين الحكوميين، وبين الأساقفة المبشرين. ثم هدموا بنيان علماء الإسلام بمعاول قساوسة الصليب، وبدلوا الشريعة بالقانون، وطاردوا الفقهاء من الدواوين، وأحلوا محلهم المحامين، وأغروا طلاب اللغة العربية بطلاب اللغة الإنكليزية والفرنسية، حيث تغلغلوا في القرى والأرياف، واقتنصوا أبناء الفلاحين وأغروهم بالأموال والاعراض، وأرسلوا من آمن بالصليب منهم إلى أوروبا، ليكملوا بها علومهم وليرجعوا إلى بلادهم زعماء معتبرين لدى الخاص والعام، فاغتر طائفة من أبناء المسلمين بتلك المظاهر فتنصروا، فأصبحوا يركضون في كل حلبة من حلبات الجد، فبقي المتمسكون بدينهم خارج الحظيرة ضعفاء مساكين متروكين في زوايا الأهمال يعيشون على هامش الحياة، ويأكلون من فتات الموائد.[10]

وكل هذا كان يؤذى المسلمين وأدباءهم كما يؤذى غيرهم من أهل البلاد ويبقى في نفوسهم أسوأ تأثير. ومن آثارهم السيئة أنهم بعد ما نشروا ثقافتهم في مشارق البلاد ومغاربها جعلوا لغاتهم الإنجليزية والفرنسية وغيرهما رسمية على حساب اللغة العربية واللغات المحلية.

ولما رأى علماء المسلمين وأدباؤهم أنفسهم في هذه الظروف العصيبة، الظروف التي صارت السلاطين والأمراء والوزراء وغيرهم ألعوبة في أيدى الحكام البيض نفثوا ما في صدورهم بالشعر العربي منددين بالمستعمرين منكرين عليهم

أفعالهم، منهم الشيخ أحمد ينما الإلورى الذي أنشأ قصيدته التائية سنة 1915م يصف لنافيها ما وقع فيه أهل إلورن من فتنة كبيرة على أيدي المستعمرين بقوله:

أعوذ برب العرش من شَرِّ دهْرِنَا ** وشـر الذين يفـعـلـون بقـوة
هـم الآمـرون بالبناء وهـدمـه ** وكنس فناء الدار في كل ساعة
جلوسا وراء الحصن صاح بعنوة ** بتقدير ربى قد رضينا بقدرة
وحفـر الكـنيف والبـناء بدورها ** وحرث الطريق كل شهر بفتنة
وجزية في أيدي المساكين كلهم ** بناء الدوير باطلا كـل حـالة
وقد هدموا بعض الديار لطريقهم ** أيا عـجـبا للآخـرين بـنـكـبة
مجـال السلاطين الذين تقـدموا ** كجولان غوغاء الجراد مصيبة[11]

فالشاعر هنا يستعيذ برب العالمين من شر هؤلاء الإفرنج الذين استولوا على أهل البلاد وغلبوهم قهرا وأخذوا يجبرون الناس على هدم البيوت وبناءها كما أرادوا وبكنس فناء الديار كل يوم وهم جالسون وراء حصونهم. وتارة كانوا يأمرونهم بحفر المرحاض ويبنون حوله بنيانا كما كانوا يأمرونهم بحرث الطريق كل شهر. وصار بعض السكان لا بيوت لهم كأنهم غرباء في أرضهم. ثم لم يكتفوا بذلك بل جعلوا قصور بعض السلاطين والأمراء هباء منثورا في إنشاء طرقهم. وهم مع ذلك يكلفون المساكين كما يكلفون الأغنياء بدفع الجزية سنويا.

ثم استمع إلى الوزير جنيد الصكتوي حيث يرثى دولة صكتو بعد ما نقل المستعمرون العاصمة من صكتو إلى كدونا فصارت صكتو– التي كانت أيام ازدهارها مزار الحاضرين والبوادى– أطلالا خالية صفرا كأن لم تغن بالأمس لتنبيه أبناء السلاطين والأمراء من نومهم وتشجيعهم على طرد المستعمرين بقوله:

صـارت مـراتع للـوحـوش بعـيد أن ** كـانت مقـاصـد حـاضر أوباد
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى الـ ** ـحـرباء لائـذة عـلى الأعـواد
قـامت تـخـاطبنى فـعز كـلامـــها ** فـلكـم سكـــوت معلن بمراد
وتـدير عـينيـــها تـشـير بـذاك دو ** ـر الدهر غير ما ترى في النادى
وتـلـونت فـفـهمت مـنـه تـلـون الـ ** ـأحـوال في الـدنيا فـعز رقادى

ناديت يا أيها هذا النادى ** فأجابني يا أيها هذا النادى

لما سكنت دنا إلَيَّ حمامة ** مغبرة تبدو بلون رمادى

فسألتها أين الذين عهدتهم ** قالت لقد بلغوا على الميعاد

قلت اخبريني من تخلف بعدهم ** قالت تخلف دولة الأكراد

مالى أرى دول الكرام وضيعة ** قالت علتها دولة الأوغاد

فسألت ما خلق الذين تخلفوا ** قالت ذوو فحش ذوو أحقاد[12]

فالشاعر يصف هنا كيف تدهورت دولة صكتو مخبرا بأنها صارت كمرعي الوحوش بعد أن كانت مزار الغرباء ومألف الحاضرين والبوادى. فهي صارت قفرا لا يرى فيه إلاَّ حرباء وهذه الحرباء تفيدنا علما بتلون لونها أن الأيام قد دارت على السلاطين بنقل القوة منهم إلى الإفرنج المستعمرين. وأخبرنا الشاعر أيضا أنه سأل عن سلاطينها فأجابته الحمامة بأنهم قد انقرضوا ثم سألها عمن تخلف بعدهم فأجابته بأن من تولوا الأمر بعدهم هم المستعمرون الذين في سوء تصرفاتهم كالأكراد الأتراك.ومنهم من أشار على رؤساء الدولة أن يأخذوابخطة التجنيد الإجباري لإنقاذ الوطن السوداني من نير الاستعمار كالشيخ عبد السلام يوسف ألكنلا حيث قال:

بــلادى لــها ديــن عــلــيّ أداؤه بعزم لإنهاض لَها لسما العـــــلا
ومسألة الحـرب تـنوط بـنا أيــا رجال نخوض الحرب حتما لنعتلِى
لنا عندما نرجو ارتقاء إلى العلا بسن القوانين لحرب على الجوى
ونكرم قانونا لحرب الذى أتى بتجنيد إجباري عموما على الفتى
لندركْ بأن الحِذْق فى الحرب عزة به أمة تعلو بصدق على العِدى
إذا مابدا للأمة العزّ فى شجا عة فى الوغى تَغْدو العظيمة في الملا
وهل أمــة فى هــذه دارنا عـلت بغير عناء الحرب بالعزم والنَّدى
بريطان مازالت على عزّ مجدها بحرب وعزم فى الصمود على الشَّجى
ترى عندها أبطال حرب عديدة تثور على الأعداء إن همهم عِدا
بهم قد علت كعب لها فوق غيرها وقد بوأت أريكة المجد والعلا
كذاك فرنسا إذ علت بنبوليون عظيم زعيم الحرب مُرْغم مَنْ عصى
ولما أتى الإسلام بالوحى من سما أتى بسلام الْمؤمنين من اهتدى
وآتى الإله السيف رجزا على الولا لمن أشركوا أوكفروا إذأبوا الْهدى
وكان لنا منهم غنيمة نعمة علينا وإسلام بحرب قد اعتلى
وما عزّ ذا الإسلام أول عهده بغير حروب بل بِها كان في العلى
وكم غزوة من بعد غزوة مصطفى تقابل فيها كل طاغ إذا أبى
بِهذا يرى موسى يقاتل كافرا كذاك سليمان وداؤد للهدى
وعيسى له بالد عوة غزوة على شمات يهود حين عابوه فى النقا
بها غلبوا من طورهم بعد طورهم وهــذا جـزاء كل عـاد إذا بغى
وأ ى نبي لم يقاتل على الْهدى وأى رسول لم يصارع من اعتلى
ألا إن حربا عزة وكرامة إذا لم تجاوز طور ردع الذى طغى[13]

استهل الشاعرقصيدته بتعليق أهمية كبيرة على ضرورية الحرب للأمة النيجيرية إذا أرادت أن تعترف بمقامها وعلو شأنها الأمم الأخرى فدعا رجالها وحثهم على الخوض فى غمار الحرب ليبلغوا مبلغ الأقوياء فى العالم. ثم حثهم على وضع القوانين

للتجنيد الإجباري حيث يجب على كل فتى قوي من أبناء هذا الوطن أن يلتحق بالقوة العسكرية النيجيرية. ثم تقدم فى كلامه مبينا بأن المهارة الحربية عزة تغلب بها الأمة على أعداءها وأن الأمة التى أدركت هذه العزة هى التى تقود غيرها بعظمتها. فهل ترى أمة عالية تقود غيرها من الأمم بغير مكابدة مشقة الحرب؟

ألا ترى أن بريطانيا لم تزل بحروبها وعزمها حتى قمعت أبطالها العديدة أعداءها فارتفع شأنها فى العالم؟ أولاترى فرنسا بالغة أوج مجدها بقيادة زعيمها نبوليون الذى أرغم أنوف المتمردين؟

ثم تمادى الشاعر فى احتجاجه على أهمية الحرب بأن نبينا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لما بعثه الله بالإسلام أمره أن يسوس كل من آمن به واهتدى بهديه فى أمن وسلم وجعل السيف عقابا للذين كفروا به وأبواان يهتدوا بهداه فصارت أموالهم غنيمة للمسلمين بل إن الإسلام لم يرتفع شأنه أول ظهوره إلا بالجهاد ثم توالت الغزوات والفتوحات بعد الرسول المصطفى حيث لقى الطغاة آجالهم. وكذلك قاتل موسى (عليه السلام) فراعنة مصر حتى غلبهم، وقاتل داؤد وسليمان (عليهما السلام) المتمردين الكافرين من قومهم حتى تمكنا من تبليغ رسالتهما السموية. ولما جاء عيسى (عليه السلام) غزا بدعائه على كفار اليهود الذين لم يؤمنوا برسالته فصار هؤلاء اليهود مغلوبين طورا فطورا، جزاء بما كانوا يكفرون. فأي نبي لم يجاهد الكفار وأي رسول لم يقاتل المشركين المتعالين فى عصره؟ ألا إن الحرب لم تكن إلا عزة لأهلها مالم يتجاوزوا حدود الله فيها.وبعد ذلك قص علينا الشاعر قصة الصحابة–رضي الله عنهم– فأخبرنا بأنهم جاهدوا مع النبى (صلى الله عليه وسلم) بأموالهم وأنفسهم لوجه الله تعالى بتقواهم فمن لم يعرف قد رأسد الله فى أرضه؟ ألا وهو سيدنا على الضارب بالسيف، المقدام على الأعداء، السيد الكامل الفتوة والبطولة. ومن لم يعلم قدر عمر الفاروق بين الحق والباطل بجرأته وإقدامه؟ ومن جهل منزلة حمزة أسد الله المغوار وغيره من مشاهير الغزاة؟ فكيف لا نقتدى بالرسول وصحابته الشجعان فى مبارزة الأعداء بالسلاح؟ وكيف نكون جبناء ورسولنا ليس بجبان؟ وهكذا شهر الأدباء عليهم

سلاح النقد وسلقوهم بألسنة حداد. ولم يزل ذلك دأبهم حتى تحررت نيجيريا من ربقة الاستعمار.

الخاتمة:

تلقى هذه المقالة بعض الأضواء على أحوال الدول الإسلامية واللغة العربية في عصر الاستعمار الغربي. وما علينا إلا أن نقدم إلى رؤساء الإسلام وحماة ثقافته العربية أن ينقذوا هذا الدين الإسلامي والثقافة العربية من كوابيس الاستعمار الغربي وقيوده بالعمل فورًا على تنفيذ الاستراتيجيات التالية:

أولاً: عقد المجالس للدعوة الإسلامية والثقافة العربية عاالمستويين المحلّي والدولي وفى المساجد والحفلات كحفلات الزواج وتسمية المولود والمآتم وصلاة الجمعة وصلاة العيدين وموسم الحج وغير ذلك.

ثانيًا: إنشاء المدارس القرآنية والمعاهد العلمية والكليات على الطرازين القديم والحديث.

ثالثًا: إنشاء الجمعيات الإسلامية الهادفة لنصر الدين الإسلامي والعناية بالشؤون الإسلامبة والعلوم العربية.

رابعًا: تنشيط جمعيات الطرق الصوفية الواعية والهادفة كالقادرية والتجانية وغير ذلك.

خامسًا: توحيد المناهج الدراسية للمدارس العربية وإعادة النظر في محتوياتها في كل دولة على حدة.

سادسًا: نهوض كل حكومة من حكومات غرب إفريقيا بواجبها تجاه المدارس العربية وتأييدها بالإمدادات المادية والمعنوية والبشرية.

سابعًا: تحذير الشباب المسلمين وأفراد الأمة والمجتمع من آفات التحديات المعاصرة بجميع أنواعها.

ثامنًا: تبني أسلوب التوعية المبرمجة لمواجهة المؤامرة الدولية والدعاية العالمية الصاخبة والغزو الإعلامي والحروب الباردة والساخنة ضد اللغة العربية ونظام تعليمها.

تاسعًا:العناية الخاصة بتعليم البنات بالحضارة الحديثة وإعدادهن إعدادًا إسلاميًا.

عاشرًا: تشجيع الطلاب على استعمال اللغة العربية للتخاطب والتعامل فيما بينهم داخل المدرسة وخارجها قدر الإمكان.

حاديًا عشر: الابتعاد عن استعمال الحرف اللاتيني لكتابة اللغة العربية إلا في الحالات الاضطرارية، لأن الضرورات تبيح المحظورات.

ثانيا عشر: توحيد الكلمة الإسلامية وتوحيد صفوف المسلمين بغض النظر عن المذهبية والعصبية والعنصرية.

ثالثا عشر: التحاق الشباب المسلمين بالقوات الشرطية والعسكرية سواء كانت هذه القوات جوية أو بحرية أو أرضية حتى يغلب أبناء المسلمين غيرهم فى هذا الميدان فى هذه البلاد.

رابعا عشر: إسهام المثقفين من المسلمين فى المجال السياسى حتى يغلب عددهم عدد غيرهم فى كل حزب من الأحزاب السياسية وحتى تسنح لهم الفرصة فى إدخال الشريعة فى الدستور القومى.

خامسا عشر: مضاعفة الحرص على دراسة العلوم الطبيعية والتكنولوجية الحديثة حتى نغلب غيرنا فى هذا الشأن.

سادسا عشر: الاقتداء بالمجاهدين السابقين والمعاصرين حتى نقيم الدول الإسلامية والثقافة العربية فى هذه البلاد وما ذلك على الله بعزيز.

الهوامش

1- آدم عبد الله الا لورى ، **الاسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلانى** ط 3 بلا عنوان المطبعة ص 114-96
2- المرجع نفسه (1978م) ص 122
3- محمد جوف البرنى ، **تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا** مكتبة محمد جوف السنغا ل (1998م) ص 99
4- المرجع نفسه, ص ص 98-99
5- محمد فاضل على باري وسعيد ابرهيم كريدية ، **المسلمون فى غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**, ط ا دار الكتب العلمية ، لبنان (2007م) ص ص 211-203
6- المرجع نفسه ص ص 248-250 ثم راجع تاريخ المدارس القرانية بغرب إفريقيا لمحمد جوف البرنى السابق ص ص 96-97

7- عثمان عبد السلام الثقافى ، **الإسلام فى غرب إفريقيا**. مطبعة سراج العلوم الاسلامية ، أوودى، الورن، نيجيريا (1993م) ص 3
8- محمد فاضل على بارى وسعيد ابراهيم كريدية ، المرجع السابق ص ص 16—166
9- المرجع نفسه والصفحات نفسها
10- آدم عبد الله الإلورى،المرجع السابق ص ص 148-149
11- آدم عبد الله الإلورى ، **لمحات البلور فى مشاهير علماء إلورن** مكتبة الآداب ومطبعة الجماميز، القاهرة (1986م) ص 46
12- شيخو أحمد سعيد غلادنث ، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا** مطابع دار المعارف ،المكتبة الإفريقية ، القاهرة (1986م) ص ص 193-194
13-Musa Adesina Abdul-Raheem "The Ideal Islamic State in Shaykh Alikinla's Mustaqbal Ilorin Al-Zahir" A.Ph.D Thesis Ibadan: Department of Arabic and Islamic Studies, University of Ibadan (1990) P.1